

# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

## Orthodox Archdiocese of Beirut

وجدت فيه شذوذاً في التعليم، وأبقت على الكتب التي اعتبرتتها تديناً للتقليد الشفهي المتناقل مستنيرة بروح الحق القدوس لحسن التمييز.

لما كانت أسفار العهد الجديد القانونية تفتقر إلى التفاصيل عن حياة العذراء مريم، يظهر أن بعض كُتّاب المسيحية الأولين أخذ على نفسه ملء هذا الفراغ فتردد ذكر مريم بإكرام كثير في عدد من كتابات الأدب المنحول. هذا يدل على مكانة الكلية

القداسة لدى المسيحيين الأوائل، لا سيما وأن صفتي «والسيدة الإله» و«السيدة البتولية» لم تعتمدا رسمياً قبل مجمع أفسس

المسكوني (سنة ٤٣١). نذكر مثلاً «إنجيل يعقوب» الذي يرجعه الباحثون إلى منتصف القرن الثاني، ويتضمن رواية مفصلة عن طفولة مريم وميلاد وطفولة السيد المسيح، وهو أقدم نص في التراث الكنسي عن مولد العذراء العجائبي وعن طفولتها وفيه أول إشارة بالإسم لوالديها يواكيم وحنة الصديقين. في هذا الإنجيل نقرأ أيضاً نصاً يفصل بروعة قصة دخول الطفلة الكلية الطهارة إلى هيكل الرب وإقامتها فيه تسع سنين: «كانت الطفلة تتقوى يوماً بعد يوم؛ ولما

## والدة الإله في الأنجيل المنحولة

إلى جانب الكتب القانونية المقدسة (الأسفار التي يتكوّن منها الكتاب المقدس بصيغته الرسمية)، شهد مطلع العهد الجديد نشأة أدب بشاري الطابع على تنوع في محتوياته ومصادره وأساليب صياغته. من هذه الكتابات ما سُمي أناجيل أو

رسائل أو رؤى، نسبت إلى الرسل أو غيرهم ممن عايشوا السيد، لإعطائها مصداقية ولتسهيل انتشارها. هذه الكتابات تفحصتها الكنيسة فوجدت

فيها تعاليم غريبة، وسرداً لأحداث من حياة السيد ووالدته الكلية القداسة لم يؤت على ذكرها في أي من أسفار العهد الجديد القانونية. هذا ما صنفته الكنيسة المقدسة أدباً منحولاً، أي «منسوباً»، وهي وإن قبلت بعضه لتلازمه مع التقليد الشريف والتعاليم المستقيمة، تبقى أدنى مرتبة من الكتب المقدسة وتكتفي به مصدراً مساعداً في دراسة الكتاب المقدس وبيئته التاريخية والاجتماعية. لقد أُبسلت الكنيسة المقدسة صراحة كل ما

## الرسالة

(فيلبي ٢: ٥-١١)

يا إخوة ليكن فيكم الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي إذ هو في صورة الله لم يكن يعتد مساواته لله اختلاساً لكنه أخلى ذاته أخذاً صورة عبد صائراً في شبه البشر وموجوداً كبشر في الهيئة فوضع نفسه وصار يطيع حتى الموت موت الصليب فلذلك رفعه الله ووهبه اسماً يفوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل رُكبة ممّا في السموات وما على الأرض وما تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح ربّ لمجد الله الأب.

## الإنجيل

(لوقا ١٠: ٣٨-٤٢)

(١١: ٢٧ و٢٨)

في ذلك الزمان دخل يسوع قرية فقبلته امرأة اسمها مرتا في بيتها وكانت لهذه أخت تسمى مريم. فجلست هذه عند قدمي يسوع تسمع كلامه وكانت مرتا مرتبة في خدمة كثيرة. فوقف

وقالت يا ربُّ أماً يعنك أن أختي قد تركتني أخدمُ وحدي. فقل لها تساعدني\* فأجاب يسوع وقال لها مرتا مرتا إنك مهتمّة ومضطربة في أمور كثيرة وإنما الحاجة إلى واحدٍ فاخترت مريم النصيبَ الصالح الذي لا يُنزع منها\* وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة من الجمع صوتها وقالت له طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضيعتهما\* فقال بل طوبى للذين يسمعون كلمة الله ويحفظونها.

## تأمل

أواه! كيف تقاد «ينبوع الحياة» إلى الحياة مروراً بالموت؟ يا للدهشة! تلك التي تجاوزت في ولادتها حدود الطبيعة، تنحني الآن تحت نواميسها، وجسدها البريء من الدنس يخضع للموت! إذ يجب في الواقع أن يُنزع ما هو مائت لارتداء عدم الفساد، لأن سيّد الطبيعة نفسه لم يرفض خبرة الموت. فقد مات بحسب الجسد وبموته حطّم الموت، وأضفى على الفساد عدم الفساد وجعل من الموت ينبوع القيامة. أواه! هذه النفس القديسة في حين خروجها من المسكن الذي تقبل الإله، كيف يتقبلها خالق العالم بيديه، وأيُّ

إنشأؤه في القرن الثاني للميلاد، قصة أم حملت طفلها المريض جداً إلى مريم والدة الإله لتشفيه. وضعته العذراء في مهد ابنها الإلهي وما أن لامس المريض الأغطية في المهد حتى قام متعافياً. يشير الكاتب إلى والدة الإله بعبارة «سيدتنا القديسة مريم» ويشدّد على دورها في الشفاء العجائبي. أما الطفل المريض فهو برثلماوس الذي صار فيما بعد تلميذ يسوع ورسوله. في موضع آخر يشير الكاتب إلى أن امرأة مصابة بالبرص أتت إلى الكلية القداسة طلباً للشفاء. غسلتها العذراء مريم بماء كانت قد غسلت فيه ابنها الإلهي، فبرأت البرصاء من دائها للتو. هذا بالإضافة إلى العديد من الشفاءات التي جرت كلها بأثر من الرب يسوع ولكن بيد والدته العذراء مريم. بيان لنا هنا، وإن لم نقف عند دقة الأحداث المذكورة تاريخياً، كم كان مفهوم شفاة مريم راسخاً في تقي المسيحيين الأوائل، هذه الشفاة التي ستبقى الكنيسة تستدرّها إلى الأبد. نذكر أيضاً كتاب «إنجيل ميلاد مريم»، الذي تقول آيته الأولى «العذراء مريم المباركة والدائمة المجد، المنحدرة من نسب ملكي ومن عائلة داود، ولدت في مدينة الناصرة وتربت في أورشليم في هيكل الرب». يُنسب هذا الكتاب إلى القديس متى الإنجيلي وقد بدأ انتشاره بين المسيحيين الأوائل. لكنه تعرّض لتشويهات عدة من بعض الشيع عن قصد أو غير قصد، ومنها ما وصل إلى إضفاء طابع إلهي على مريم. ثم عادت فظهرت نسخته الأصلية في أعمال القديس إيرونيموس في القرن الرابع وبات ممكناً عندئذ عزل النسخ المشوهة وإبسالتها. يتناول هذا الكتاب بإسهاب نسب العذراء مريم ويخص والديها بإكرام مميّز، وكم كانا صديقين ومتشددتين في

كانت في شهرها السادس وضعتها أمها أرضاً فقامت الطفلة ومشت سبع خطوات وارتمت في حضن أمها. إذك وجدت هذه الرب قائلة: بحياة الرب إلهي لن تطأ قدمك الأرض حتى اليوم الذي أخذك فيه إلى هيكل الرب... ولما بلغت الطفلة عامها الأول، أقام يواكيم مأدبة عظيمة دعا إليها الكهنة والكتبة وشيوخ إسرائيل وشعباً كثيراً. عندئذ قدم يواكيم الطفلة للكهنة الذين باركوها قائلين: يا إله آبائنا، بارك هذه الطفلة وأعطها اسماً ترده الأجيال إلى آخر الأدهار، أمين ثم أمين. رؤساء الكهنة أيضاً باركوها قائلين: يا إله أعالي السموات، إنحن بناظريك على هذه الطفلة وأسبغ عليها بركة سامية، بركة لا مثيل لها... ولما بلغت الطفلة عامها الثالث قال يواكيم: نادوا عذاري العبرانيين الطاهرات، ولتحمل كل منهن مشعلاً مضاءً فلا تلتفت الطفلة إلى الورا ولا يتعلق قلبها بغير هيكل الرب. في الهيكل أخذ الكاهن مريم الصغيرة على ذراعيه فقبلها وباركها قائلاً: لقد مجد الرب اسمك في كل الأجيال. فيك، في اليوم الأخير، سوف يظهر الرب فداءه الذي صنعه لأبناء إسرائيل. عندئذ اجلس الكاهن الطفلة على العتبة الثالثة فأنزل الرب نعمته عليها وقامت ترقص على قدميها فرحة... وكانت مريم في الهيكل مقيمة يحمل إليها طعامها ملاك». هذا النص تتردد تفاصيله في خدمة عيد دخول السيدة إلى الهيكل، ولعله المصدر لإرساء هذا العيد (٢١ تشرين الثاني) والملهم لأيقونته. يروي إنجيل يعقوب أيضاً قصة خطوبة مريم إلى يوسف الذي كان مسناً وله أولاد من زواج سابق، وهي ابنة إثني عشر عاماً.

يروي «إنجيل طفولة يسوع الأول»، المنسوب إلى الرسول توما والمرجّح

تكريم شرعيّ يحمله لها! بالطبيعة كانت خادمة، لكنّه في ليج محبّته للبشر التي لا تسبر، جعلها أمّه الخاصة بترتيب التدبير الإلهي، لأنّه تجسّد بالحقيقة ولم يصبح إنساناً بالزور. وطغمت الملائكة كانت تراك من ثم بدون شكّ وتنتظر انطلاقك من حياة البشر.

يا للانتقال الذي لا مثيل له، والذي هو لك بمثابة نعمة الرحيل إلى الله! لأنّه إذا وهبت هذه النعمة من الله لجميع خدامه الذين لديهم روحه - لأنها وهبت لهم، والإيمان يعلمنا ذلك - فالاختلاف مع ذلك يكون لا متناهياً في ما بين عبيد الله وأمه.

فكيف ندعو من ثم هذا السرّ الذي يتمّ فيك؟ موتاً؟ ولكن، إذا ما كانت نفسك الفائقة القداسة والطوبى قد انفصلت عن جسدك المبارك البريء من العيب كما تريد الطبيعة وإذا ما أسلم هذا الجسد إلى القبر بحسب الناموس المشترك، فهو مع ذلك لن يقيم في الموت ولم يحلّه الفساد. وتلك التي بقيت بتوليّتها سالمة في الولادة، قد حفظ جسدها دون انحلال عند انطلاقها من هذه الحياة ووضعت في مسكن أفضل وأكثر تألّها، في منجى من الموت بحيث

التزامهما الله وحده دون سواه. «كانا بارين أمام الله، ورعين وبلا عيب أمام الناس». يروي الكتاب أيضاً أنهما عاشا معاً عشرين سنة دون أن يزرقا بولد، فصارا محط تعيير الناس والمهما هذا كثيراً لأن عدم الإنجاب كان في فهم إسرائيل القديم علامة لعنة من الله. يرحل يواكيم عن المدينة إلى القفر منقطعاً إلى الصوم والصلاة وناذراً، إن رزقه الله بولد، أن يفرزه لخدمة الخالق في هيكله. بعد أربعين يوم على هذه الحال يأتيه ملاك الرب، ومن بعده إلى حنة، مبشراً إياهما بأن «حنة سوف تحبل وتلد ابنة تسمى مريم، والابنة سوف تتربى في الهيكل كما نذرت، وهي نفسها سوف تلد ابن الله وهي بعد عذراء، بحال غريبة لا تفسّر». ويستشهد الكتاب المذكور بنبوءة اشعيا (١١: ٢-١١) عندما يصل إلى رواية خطوبتها إلى يوسف.

يتوافق «إنجيل ميلاد مريم» في العديد من الأحداث مع إنجيلي متى ولوقا، لا سيما بشاراة العذراء بحبلها وريبة يوسف وظهور الملاك له في الحلم.

قصة والدي مريم ومولدها العجائبي وطفولتها الطاهرة تقليد تحياه كنيسةنا في علاقتها بمريم ويتردد في خدمة عيد ميلاد العذراء (٨ أيلول). والتقليد الشريف والليتورجيا مصدران من مصادر إيماننا.

## العظة على الجبل: الصدقة والصلاة والصوم

«تصدّق من مالك ولا تحوّل وجهك عن فقير، تصدّق بما عندك وبحسب ما يتوفّر لك، وإن كان لك قليل فابذل قليلاً، ولكن لا تخفّ أن تتصدّق... من

خبزك أعط الجائع ومن ثيابك العراة. من كلّ ما توفّر لك تصدّق» (طوبيا ٤: ٧ و٨).

بعد أن قرأنا في الإصحاح الخامس من إنجيل متى كيف أكمل الرب يسوع الوصايا وأعطاه المعنى الأكمل والأسمى، نقرأ اليوم في الإصحاح السادس (١٦: ١-١٨) موقفه من أعمدة البرّ الثلاثة: الصدقة والصلاة والصوم. وهو يهدف من موقفه أن ينقل سامعيه من القشور إلى الجوهر فيصبح ما يقومون به انعكاساً جلياً لإيمانهم بإبن الله.

لقد كانت الصدقة والصلاة والصوم من الأعمال الأساسية في العهد القديم، التي يجب على كلّ إنسان القيام بها لكي يعتبر باراً أمام الله. لذا عندما يورد الإنجيلي لوقا مثلّ الفريسي والعمّار (٩: ١٨-١٤) يقول: «وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين هذا المثلّ». وفي المثلّ يفتخر الفريسي بأنّه يصوم مرتين في الأسبوع ويعطي من أمواله للفقراء ويصلي، أمّا العمّار فلم يشأ أن ينظر إلى السماء وقال اللهم ارحمني أنا الخاطيء. وينتهي الرب المثلّ بالقول «أقول لكم إن هذا (العمّار) نزل إلى بيته مبوراً دون ذلك». على هذا الأساس اعتبرت الصدقة والصلاة والصوم من أعمدة البرّ الثلاثة.

في حديثه عن هذه الثلاثة يشدّد الرب يسوع على ضرورة أن تكون في الخفاء، وإن الله هو الذي يجازي علانية: «وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك لكي تكون صدقتك في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية... وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبوك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية... وأما أنت

يقدر على البقاء إلى الدهور التي لا نهاية لها.

شمسنا الساطعة بالكلية والمنيرة على الدوام، باحتجابها لوقت ما بجسم القمر، تبدو وكأنها اختفت مظلمة بالظلمات وتحول لمعانها إلى ظلام. لكنها مع ذلك لم تتجرد من نورها الخاص بل هي تحوي في ذاتها ينبوع نور لا ينضب، أو بالأحرى هي نفسها ينبوع النور الذي لا يغيب بحسب ترتيب الله الذي خلقها. هكذا أنت، ينبوع دائم للنور الحقيقي، كنز لا ينفد لمن هو الحياة بالذات، تفتح البركة الخصيب، أنت التي هي لنا علة كل الخيرات ومانحتها، حتى ولو غاب جسدك في الموت بانفصال مؤقت فأنت تنبعين لنا مع ذلك وبسخاء، دفقات دائمة نقية لا تنضب من النور غير المتناهي والحياة غير المائتة والبهجة الحقيقية وأنهار النعم وينابيع الأشفية بركة دائمة. فلقد أزهرت «كالتفاحة بين أشجار الغابة» وثمرت حلو في خلق المؤمنين. ولن أقول بعد عن انصرافك المقدس إنه موت، بل رقاد أو عبور، أو دخول في مسكن الله أكثر دقة، فبخروجك من حيز الجسد تدخلين في حالة أفضل.

القديس يوحنا الدمشقي

كالمرائين... لكي يظهروا للناس... ومتى صمتهم فلا تكونوا عابسين كالمرائين. فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين» (متى ٦: ٢ و ١٦). المراءون هم الذين يظهرون للناس عكس ما هم في دواخلهم. أي أنهم «يمثلون» على الناس دورا معيناً تماماً كما يلبس الممثل شخصية ما على خشبة المسرح. القديس يوحنا الذهبي الفم يكتب: «حسناً دعاهم السيد المرائين، لأن القناع كان قناع الرحمة، ولكن الروح روح الوحشية واللاإنسانية، لأنهم يفعلون الصدقة لا شفقة على أقربائهم، بل لكي يتمتعوا هم بالسمعة، وهذا منتهى الوحشية. فبينما يهلك الآخر جوعاً يطلبون المجد الفارغ. فليس المطلوب إعطاء الصدقات وحسب، بل إعطاؤها كما ينبغي... هؤلاء (المصلون) أيضاً يدعوهم المرائين، إذ بينما يدعون أنهم يصلون إلى الله، فإنهم يبحثون عن الناس من حولهم، وهم يلبسون زي الخفاء لا زي المتضرعين. لأن من ينوي أن يؤدي طقس المتضرع يترك الآخرين كلهم يذهبون وينظر إلى الله وحده القادر أن يمنحه طلبته».

ملاحظة أخيرة عن موضوع الصلاة: إن الدعوة إلى الصلاة في المخدع لا تعني بأي حال التخلي عن الصلاة مع الجماعة. فالرب في هذا المقطع يعالج قضية المرائين الذين يريدون أن يظهروا للناس أنهم يصلون. المهم أن تكون في صلاتك مع الجماعة واقفاً أمام الله وحده، إلى جانب اخوتك. وهذا دليل محبة كبيرة أن تصلي مع إخوتك وتذكرهم ويذكرونك في صلاتهم.

**بالامكان الإطلاع على النشرة**

**أسبوعياً على صفحة الإنترنت:**

[www.quartos.org.lb](http://www.quartos.org.lb)

فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية» (متى ٦: ٣-٤ و ١٧ و ١٨). إذا المهم أن تكون الصدقة والصلاة والصوم في الخفاء. لكن الخفاء لا يعني بيني وبين نفسي، إذ إن معظم الناس يظنون أن المهم أن لا يعرف الناس الآخرون. الخفاء بحسب كلام الرب يعني بيني وبين الله فقط. هذا ما نستنتجه من قوله: «فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك». من الذي سيعرف شمالي ما صنعت يميني سواي أنا؟ إذا المهم أن يرى الله وحده. وهذا المفهوم ينسحب على الصلاة والصوم. إذ قد تكون في غرفتك وحدك تصلي، وفي نفسك تفكر أنك أفضل من سكان البيت الآخرين الجالسين في غرفة الجلوس. أو قد تكون صائماً وتحتقر الآخرين لأنهم لا يصومون، تماماً كما فعل الفريسي. في هذا الأمر تكبر واستعلاء، ولا يريد الرب أن يدخل الكبرياء نفوسنا. المهم أن نعي أن الله وحده هو الذي يجازي وليس البشر. فإن قال البشر جميعهم أن فلاناً طيب الأخلاق ويصوم ويصلي، فهذا لا يعني أنه سيدخل الملكوت. لن يدخل الملكوت إلا متى قال الله عنه إنه إنسان جيد. «والإنسان الذي كان باراً وفعل حقاً وعدلاً... بذل خبزه للجوعان وكسا العريان ثوباً... وسلك في فرائضي وحفظ أحكامي ليعمل بالحق فهو بار. حياة يحيا يقول السيد الرب» (حزقيال ١٨: ٥ و ٧ و ٩). الرب يسوع يريدك أن تتصدق وتصلي وتصوم، ولكنه لا يريدك أن تقوم بهذه الأعمال كالمرائين. «فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراءون في المجمع وفي الأزقة لكي يمجّدوا من الناس... ومتى صليت فلا تكن